ولكنه إِذا نظرَ عَلِم أنّـَه لا يجوزُ وذاك لأنه قالَ : " والمشرفيّ ُ مُضَاجِعي " فذكرَ ما يكونُ منعاً منَ الفعل . ومُحالٌ أن يقولَ هو ممّـَن لا يجيءُ منه الفعلُ ثم يقولُ : إِني أمْنَعه لأنّـَ المنعَ يُتصوّ َر فيمن يجيءُ منه الفعلُ ومعَ مَن يصحّ ُ منه لا مَن هو منه مُحالٌ ومَن هو نفسُه عنه عاجزٌ فاعْرِفْه .

واعلمْ أنـّا وإِنّ كُنـّا نفسر الاستفهامَ في مثلِ هذا بالإِنكارِ فإِنّـَ الذي هو مَحضُ المعنى أنـّه لتنبيهِ السامع حتى يرجعَ إِلى نفسِه فيخجلَ ويرتدعَ ويَعْيا بالجواب إِمّا لأنه قدِ ادّـَعى القدرةَ على فعلٍ لا يقدرُ عليه . فإِذا ثبتَ على دعواهُ قيلَ : " فافعلْ " فيفضحُه ذلك . وإِما لأنه هَمّـَ بأن يفعلَ ما لا يستصوِبُ فِعْلَه فإِذا رُوجعَ فيه تنبّـَه وعرفَ الخطأ . وإِمّا لأنه جَوّ َزَ وجودَ أمرٍ لا يوجدُ مثلُهُ فإِذا ثبتَ على تجويزِه وُبـّخَ على تَعَنـّتِهِ وقيلَ له : فأرِنَاهُ في موضعٍ وفي حالٍ . وأقمْ شاهداً على أنـّه كان في وقتٍ . ولو كانَ يكونُ للإِنكارِ وكان المعنى فيه من بدء الأمر لكان ينبغي أن لا يجيء فيما لا يقول عاقل : إنه يكون حتى ينكر عليه كقولهم : أتصعدُ إِلى السماء أتستطيعُ أن تنقلَ الجبالَ أَإِلى ردّـَ ما مضَى سبيلٌ وإِذ قد عرفتَ ذلك فإِنـّه لا يقرر بالمُحال وبما لا يقولُ أحدٌ : إِنه يكونُ إِلاّ على سبيلِ التمثيل وعلى أن يقالَ له إِنـّكَ في دعواك ما ادّـَعيتَ بمنزلةِ مَن يدّـَعي هذا المُحال وإِنك في طَمَعِك في الذي طَمِعْتَ فيه بمنزلةِ مَن يطمعُ في الممتنع .

وإِذ قد عَرَفْتَ هذا فَمِمّـَا هو من هذا الضَرب قولُه تعالى : ( أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصّ ُمّـَ أو تَهْدِي العُمْيَ ) . ليس إِسماعُ الصمّـَ مما يدّـَعيه أحدٌ فيكون ذلك للإِنكار . وإِنـّما المعنى فيه التـّمثيلُ والتـّشبيهُ وأن ينزّ َلَ الذي يُظَنّ ُ بهم أنهم يَسْمعون أو أنه يستطيعُ إِسماعَهم منزلةَ مَن يَرى أنه يُسْمِعُ الصّ ُمّـَ ويَهدي العُمْيَ . ثمّـَ المعنى في تقديمِ الاسمِ وأنْ لم يُقلْ : " أتُسمِعُ الصمّـَ " هو أن يقالَ للنبيّـَ : أأنتَ خُصوصاً قد أوتيتَ أنْ تُسمعَ الصّ ُمّـَ وأن يُجْعَلَ في ظَنـّه أنـّه يستطيعُ إِسماعَهم بمثابةِ مَن يظنّ ُ أنـّه قد أُوتيَ قدرةً على إِسماعِ الصّ ُمّـَ . ومن لطيفِ